دكتور بهاء الأمير

سؤال عن الصحابة

السؤال

The Dark Of Light

١

السلام عليك يا دكتور بهاء، أنا أقدر أنك مشغول في أبحاثك وكتبك لكن أرجو من حضرتك أن تسمح لي أن أعرف رأيك حول هذه الأسئلة:

١) ما رأيك في موضوع عدالة االصحابة؟
٢)) ما رأيك في الفتنة الكبري بين علي ابن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان؟
٣) هل كل الممالك الإسلامية، سواء الأموية أو العباسية أو العثمانية، كانت تمثل قيم الإسلام؟
٤) هل لأن العلمانيين ينتقدون هذه الممالك يجب علينا أن نسكت عنها ولا ننتقدها؟
٥) هل هناك دور لليهود في الأحداث الكبري التي حدثت في العالم الإسلامي من بداية الخلافة الراشدة حتي الدولة العباسية؟

أنا بحثت عن إجابات هذه الأسئلة عند السنة والشيعة ولكن أجد دائماً أن الأمر عند الاثنين يدور حول الأشخاص لا الوقائع وما ترتب عليها، وأيضاً إجابات العلمانيين تدور حول نقد الإسلام و هدمه بالكامل، وفي سبيل هذه الغاية لا يعتنون بالحق أو يبتغونهُ، فأنت ربما الشخص الذي يتمتع ببعض الموضوعية في طرح موضوعاتهِ وربما أحصل منك علي إجابه صادقة وغير متحيزة.

أعلم أنك تري أن طرح مثل هذه الأسئلة ليس مفيداً الآن، لكن ما أعتقده أن ما حدث من بعد وفاة النبي، سواء كان في أوروبا أو في العالم الاسلامي، كله مرتبط ببعضه، وتلقائياً مرتبط بالواقع الحالي.

أسأل الله أن يهديك إلي الحق المبين ويزيدك من علمه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتهُ.

أعتذر عن أسئلتي المطولة ولكن رأي الدكتور بهاء الأمير يعتبر مهم جداً بصراحة.

ما رأي الدكتور بهاء الأمير في الصحابي معاوية بن ابي سفيان، أرجوا التفصيل بقدر الإمكان؟

يوجد في كتب التاريخ أنه كان في بلاط الصحابي معاوية بن ابي سفيان يهود ونصاري، فهل هذا كان لهم تأثير في الاحداث التي حدثت بعد مقتل عثمان ابن عفان والفقنة الكبري؟

وبالنسبة للرسالة السابقة أنا يا دكتور لست أري مشكلة في أن الحاكم في الدول الإسلامية، من الأموية الي العباسية، أنه كان يأتي بدون ديمقراطية، لكن ما نسمع ويثار حول الشخصيات التي حكمت شئ مريب.

فهل فعلاً كانوا يحكمون بالإسلام أم كان الأمر تباعاً لأهوائهم، لكن أيضاً أنا لا أنكر أن هناك شخصيات عظيمة كانت من ضمن هؤلاء الحكام.

الرد

دكتور بهاء الأمير

١

الصحابة

ما تسأل عنه يتعلق بأحداث كبيرة ولها آثار جسيمة تمس التاريخ والحاضر، وتحتاج إلى مساحات واسعة لاستيفاء الكلام عنها، لكي لا يقتطف أي طرف كلمة أو عبارة على هواه وينزعها من سياقها ثم يقوم بتضخيمها، ليضرب بها من يخاصمهم، أو يتهمنا نحن بما لم نرده، في زمن كادت تختفي فيه الدقة والتحري والإنصاف، وتصدَّرَ فيه من كل فريق أو فئة عميانها، ومن تحكمهم العداوات والخصومات، أو من يتكسبون مما يقولونه مالاً أو صيتاً.

ولذا سأجيب إجابات موجزة أو إشارات يسمح بها الموضع والحيز.

عدالة الصحابة تتعلق باعتقادهم وإيمانهم التام بالوحي وبأمانتهم في النقل، ولا يقدح فيها أو ينقص منها ما وقع بينهم من خلافات في شؤون الحياة وكيف تدار أمور الناس وحول من يسوسهم ويحكم الدولة، لأن هذه الخلافات بين أبناء الجيل الواحد أو الأقران والأنداد هي من سمات الحياة ومظاهر الاجتماع البشري، واختفاؤها يعني أن الحياة توقفت أو أن البشر بلا غايات يريدونها وليس لهم مصالح يراعونها ولا نفوس تحب وتكره.

أصل المشكلة في اتخاذ كل طرف حداً في المسألة، وكلاهما ليس حقيقياً ولا منصفاً، فطرف يبجل الصحابة، وتبجيلهم حق وواجب، ولكنه يتوهم أن هذا التبجيل يقتضي إخرجهم من دائرة البشر وإدخالهم في زمرة الملائكة التي لا عقل لها ولا نفوس ولا مشاعر، والفريق الآخر على النقيض تماماً يتصيد ما يراه من خلافات وقعت بين الصحابة أو ما يتوهم أنه أخطاء منهم ليضخمها ويجعلها ذريعة لإسقاط عدالتهم في الدين التي لا تتعلق أصلاً بهذه الخلافات والأخطاء، ثم للإطاحة بالدين كله بعد ذلك من أجل إحلال الغرب محله.

والخلاصة أن الصحابة بشر، وهم عدول لأن المصدر الأعلى المطلق حكم لهم بالعدالة، ولأنهم بشر فقد وقع بينهم خلافات في شؤون الحياة كما يقع بين الأنداد والمتعاصرين من البشر.

ولبعض الصحابة أخطاء لأنهم ليسوا معصومين، واختلافهم وأخطاؤهم لا تتعلق بعدالتهم ولا تسقطها أو تنقص منها، لأن الله وصف فئتين في كتابه بالإيمان ولم يقلل من إيمان هذه ولا تلك، بل ساوى بينهما فيه رغم أنهم في حالة اقتتال.

وأنا شخصياً أرى الصحابة صفوة البشر دون أن أنكر أنهم اختلفوا وأن بعضهم أخطأوا، لأن الفرق بينهم وبين أي جيل في الإسلام بعدهم مع صحبتهم للنبي، رسوخ معنى المعايير والموازين في أذهانهم ووضوحها في عقولهم ونفوسهم وضبط كل شيء بها وعودتهم إليها إن أخطأوا.

بقي أمر واحد، وهو أن تقييم الخلافات التي وقعت بين الصحابة مسألة لا ينبغي أن يكون مجال الحديث عنها ومناقشتها التليفزيونات، ولا أن يكون من يدلي بدلوه فيها البقر الذين يتصدرون الشاشات، ولا أمام عوام لا تميز يمينها من شمالها وفي أذهانها صورة رومانسية خيالية، أي خدش في رومانسيتها يسقطها كلها من نفوسهم.

فلا توجد أمة ولا دولة تسمح بالاستهزاء بالجيل المؤسس لها، ولا بتحويل نقده إلى مسألة تلفزيونية وإعلامية، فقد وقع بين قادة ثورة ١٩٥٢م في مصر خلافات لا حصر لها وكادوا لبعضهم وطعن كل منهم في الآخر واتهم بعضهم بعضاً بالعمالة لهذا الطرف أو ذاك، فهل تسمح الدولة المصرية بمجرد الإشارة في تلفزيونها إلى الخلافات بين من صنعوا الثورة التي تستمد منها شرعيتها؟

وجورج واشنطن كان ألعوبة في يد جنرالات جيشه من الماسون، فهل تسمح الولايات المتحدة الحرة الديمقراطية في إعلامها وتعليمها بطرح ذلك عن الرجل الذي تحمل عاصمتها اسمه؟

إذاً وبعيداً عن التقديس والتبجيل: اشمعنى الصحابة؟!

٢

الفتنة الكبرى

الفتنة الكبرى هي ما كان من الثورة على عثمان وقتله رضي الله عنه، وكل ما حدث بعد ذلك كان من توابعها.

وهذه الفتنة يدخل في صناعتها عوامل عديدة، منها اتساع الدولة الإسلامية ودخول كتل من البشر يفتقدون الوعي بالمعايير والموازين وتحركهم وتثيرهم الأقاويل، ووجود صورة في أذهانهم عن الحاكم لا علاقة لها بشرعية الحكم ولا برشد الحاكم، فليس من مطلوبات الشرع والإسلام، ولا هو بممكن أن يكون كل الحكام نسخة واحدة مكررة، فاختلاف أسلوب الحاكم وسمته وطريقته من سنن الحياة وحقائق الاجتماع في كل الأمم.

ومن عوامل الفتنة توظيف اليهود وصنائعهم للفجوة بين صورة الحاكم التي صنعها أبوبكر وعمر في أذهان عموم الناس، وبين الصورة التي اضطر إليها عثمان مع اتساع الدولة وتباين أحوال من تشملهم، في إثارة كتل العوام وتهييجهم.

٣

معاوية بن أبي سفيان

حكم أي طرفين في خلاف أو أزمة عليه غير حكم من يأتي بعدهم وقد هدأ الغبار وانطفأت النار.

ومعاوية وعلي كانا أقراناً وأبناء جيل واحد وكل منهم يرى نفسه كفئاً للآخر وأولى بالأمر منه، علي لسابقته وقرابته من النبي ووجوده في دائرة السلطة في الدولة النبوية، ومعاوية لكفاءته وقدراته التي يعرفها من نفسه وقدرته على حشد البشر وتصريف الأمور.

أما نحن فهذا سيدنا وذاك سيدنا، لأن ثمة ميزاناً أعلى في الحكم عليهما وهو ميزان صحبة النبي ورضاه، ومعاوية كان من كتاب الوحي، وما كان لرسول الله أن يأتمن على الوحي الذي أُنزل عليه من لا يثق فيه أو يرضى عنه.

ما حدث من خلاف بين علي ومعاوية هو خلاف بين الأنداد والمتعاصرين مما هو من سنن الحياة، وخلافهم كان على شؤون ومسائل لا يقدح الاختلاف فيها في إيمان هذا ولا ذاك، وخلافهم كان داخل الإطار الإسلامي، وعلى من الأكفأ في سياسة الدولة والمجتمع

وليس على المناهج والقواعد الحاكمة لهذه السياسة، وخلافهم كان داخل البيت ولا يسمحون لأحد من خارجه أن يكون طرفاً فيه ولا يبيح أحدهم الأمة لأعدائها من أجل الانتصار على الطرف الآخر.

وفي أتون الخلاف بين علي ومعاوية أرسل هرقل لمعاوية يعرض إمداده بجيش وعتاد، فكان رد معاوية: "إما اعتزلت عنا وإما أرسلت إليك جيشاً أوله عندك وآخره عندي يجالدك حتى يملك صاحبي ما تحت قدميك من الأرض"، وصاحبي هذا هو علي بن أبي طالب!!

بعيداً عن العدالة والصحبة والتقديس، معاوية طراز فريد من الساسة وفي الصف الأول من صُناع الدول في التاريخ، وقدراته السياسية وكفاءته الإدارية وبصره بنفوس من يؤيدونه ومن يعارضونه، وقدرته على توظيف ذلك كله يكاد لا يكون له نظير بين الحكام في تاريخ أي أمة من أمم الأرض.

فإذا أردت أن تتيقن فقارنه بمن حولك من حكام هم القاب مملكة في غير موضعها.

واليهود والنصاري لم يكونوا في بلاط معاوية فقط، بل في بلاط كل الخلفاء والسلاطين بما فيهم الراشدون، وأبو لؤلؤة الذي طعن عمر بن الخطاب كان مجوسياً، وعمر نفسه هو الذي أباح له الوجود في المدينة لحاجة المجتمع إلى صنعته، والطبيب الخاص للناصر صلاح الدين الأيوبي هو اليهودي موسى بن ميمون.

فهؤلاء كانوا في بلاط الخلفاء والسلاطين لمهارتهم في مهن أو حرف معينة، خصوصاً ما يتعلق منها بالحساب والشؤون المالية، ولكن لم يكن لهم علاقة بسياسة الدولة ولا هم من يرسمون توجهاتها ولا هم من دوائر صنع القرار.

والنصارى كانوا موجودين في بلاط معاوية وخلفاء الدولة الأموية كلها، بما فيهم عمر بن عبد العزيز، ورغم ذلك فقد كانت جبهة الدولة الأموية الرئيسية في عهد كل خلفائها الإمبراطورية البيزنطية لاستكمال حملات الراشدين عليها، وحاصرت أساطيل الدولة الأموية القسطنطينية ثلاث مرات لفتحها، وإحداها كانت في عهد معاوية نفسه.

فالعبرة بالسياسات والتوجهات وبوصلة صنع القرار وليس بالأشخاص، ولو أردت مقارنة تقرب لك ذلك، فالدول العربية الآن لا تستطيع أن تضع يدك على يهودي واحد في دائرة صنع القرار فيها، ومع ذلك فهي يهودية لأن اليهود هم من رسموا خريطتها وصنعوا نخبها

وأقاموا مؤسساتها، وهم من خلال الغرب وسياساته الاقتصادية والسياسية من يحكمون بوصلة قرارها وتوجهاتها.

وكذلك وجود مستشار مسلم للرئيس الأمريكي أو وزير من أصول عربية في الحكومة الفرنسية لا يعني تأثيره في توجهات هذه ولا تلك، أو أنه من صناع القرار فيها ويملك تغيير سياساتها نحو بلاد العرب والمسلمين

٤

دول الإسلام

الدول التي ذكرتها كلها هي عالم الإسلام، فعقيدتها واحدة، وورثت كل منها الأخرى فلم تنحرف أي منها بعالم الإسلام عن مساره الذي بدأ مع الدولة النبوية، ولا بدلت أولياءه ولا أباحت أرضه لأعدائه.

وبعد ذلك فكل دولة فيها الصالح وفيها غير ذلك، وهناك طبقة من العلماء وأهل الحل والعقد كانت تتولى ضبط الحكام وتنصف عموم الناس منهم، وينقاد الحكام لها طواعية لأن الشرع هو مصدر الشرعية، وقد ذكرت أمثلة لذلك في الوحي ونقيضه وفي دراسة الفريضة الغائبة عما يحدث في مصر.

ولله سنن لا تتخلف ولا يوقف عملها الفتاوى ولا الخطب، فإذا تراكمت الأخطاء، أو وطئ الأمةَ أعداؤها، أو اختل الميزان ولم يعد في طاقة طبقة أهل الحل والعقد القوامة على ضبطه إعادة الأمور إلى نصابها، أذن الله بزوال الدولة كلها واستبدل بها قوماً غيرهم، ليعيدوا ضبط الأمور ودفع الأعداء وتوجيه الأمة في مسارها النبوي قدر ما يمكنهم.

وتقييم هذه الدول ومعرفة ما أصابت فيه وأخطأت ضرورة للتاريخ وكشف الحقائق والانتفاع بالتجارب، لكن النقد والتقييم يجب أن يكون بمعايير الإسلام وموازينه وليس بمعايير الغرب ومن يعبدونه، وأيضاً ليس في التلفزيونات ولا البقر فيها وفي الصحف هم من يفعلون ذلك.

طوال تاريخ عالم الإسلام، وفي كل دوله، كانت المشكلة الرئيسية في السؤال: من الذي يحكمنا؟

وكانت الإجابة تتعلق بكفاءة الحاكم وقدراته وسطوته وما يحوزه من وسائل القوة والغلبة، فمن حازها فلا توجد عندنا أي مشكلة طالما أنه يدفع عنا عدونا الذي تعرف الأمة كلها أنه عدوها ولا خلاف عندها فيه، وطالما أن الأخلاق هي هي وكذلك القيم والقوانين والأعراف والتقاليد والنسيج الاجتماعي.

أما في زماننا هذا، ومنذ أن غير اليهود والماسون مسار بلاد العرب وأذابوا أهل الحل والعقد عبر جيوش الغرب التي يركبون ظهور قادتها وعبر سياساتهم القانونية والتعليمية والإعلامية وما صنعوه من ساسة ونخب وضعوها على صدر بلاد العرب ووطأوها لهم بالسلاح، فقد صارت المشكلة أن السؤال: من الذي يحكمنا؟ يتبعه تلقائياً أسئلة أخرى، وهي: بماذا سيحكمنا، ومن سيكون أعداؤنا وأولياؤنا، ومن أين سناتي بقيمنا وأخلاقنا وتشريعاتنا، وهو مصدر كل ما تشهده بلاد العرب من قلاقل تشتعل حيناً وتخبو آخر منذ ألحقها اليهود بعبيدهم في الغرب.

أما عن الديمقراطية، فحتى في الغرب ليست الديمقراطية هي التي تصل بالحاكم إلى السلطة كما تتوهم، الديمقراطية لا يصل بها إلى السلطة في الغرب إلا من تريد الطبقة الممسكة بمقاليده أن يصل إليها، ليكون واجهة لها وفقط، وجوهرها إدراك الأبالسة الذين ابتكروها وطوروا كل ما يتعلق بها أن عموم الناس لا يعنيهم إلا العناوين ووسيلتهم في الحكم على الأشياء مظاهرها وليس حقيقتها.

لذا فالديمقراطية في الغرب هي أن يحتشد الناس وتشتعل المعارك وتزدهر التلفزيونات والصحف وتنفق الأموال، لكي ينتخب الناس شخصاً فيسعدوا بأنهم اختاروه بكامل حريتهم، وهذا الشخص ليس له من الأمر شئ وليس هو الذي يحكم في الحقيقة!

دكتور بهاء الأمير

القاهرة

٢١ من ذي الحجة ١٤٣٧هـ/ ٢٣ سبتمبر ٢٠١٦م